

٥٢ - سورة الطور

مكية وآياتها تسع وأربعون

عن جبير بن مطعم قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه» (١). وروى البخاري، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي فقال: «طوني من وراء الناس وأنت راكبة»، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبْنَا السُّورِ ۝٢ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ۝٣ وَاللَّيْلِ الْمُنْمُورِ ۝٤ وَالسَّجْدِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَآزِعٌ ۝٧ فَأَلْهَمَ مِنْ دَانِعٍ ۝٨ يَوْمَ يُنَادُوا لِلَّهِ أَتَنَالُهُمْ ۝٩ وَقِيلَ أَبْجَالٌ سُدَّتْ ۝١٠ وَأَوَّلَ يُومٍ قَدِ افْتَرَسَ ۝١١ أَلْبَابُهَا فَفِي حَوْضٍ لَّيْثُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُثْرَوْنَ لَأَن تَارَ جَهَنَّمَ دَفْعًا ۝١٣ فَخَيَّبَ النَّارَ الَّذِي كَفَرَ بِهَا فَكَذَّبُوا ۝١٤ أَلَيْسَ ۝١٥ هَذَا أَمْ أَنشَرْنَا لَا نُبْرِكُ ۝١٦ أَسْمَلْنَا فَأَنْسَبُورًا أَوْ لَا تَسْبُورًا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُعْرَفُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ .

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا دافع له عنهم، والطور هو الجبل الذي يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل، «وكتاب مسطور» قيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة، التي تقرأ على الناس جهاراً، ولهذا قال: «في رقي منشور» والبيت المعمور، ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» (٢) يعني يتعدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وهو كعبة أهل السماء السابعة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة، والله أعلم. وقال ابن عباس: البيت المعمور هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه، وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف. وقال قتادة والسدي: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرُونَ ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه مسجد في السماء بجبال الكعبة لو خر لخر عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يمدوا آخر ما عليهم». وقوله تعالى: «والمسقف المرفوع» عن علي قال: يعني السماء، ثم تلا: «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون»، وكذا قال مجاهد وقاتادة والسدي واختاره ابن جرير، وقال الربيع بن أنس: هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات، وقوله تعالى: «والمسجور المسجور» قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر، واختلف في معنى قوله: «المسجور» فقال بعضهم: المراد أنه يوحد يوم القيامة ناراً كقوله، «وإذا البحار سجرت» أي أضربت فتصير ناراً تتأجج محيطه بأهل الموقف، وروي عن علي وابن عباس. وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب

(١) أخرجه الشيخان من طريق مالك.

(٢) هو جزء من حديث طويل في الإسراء أخرجه الشيخان.

منه ماء ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: ﴿والبحر المسجور﴾ يعني المرسل، وقال قتادة: المسجور المملوء، واختاره ابن جرير، وقيل: المراد بالمسجور الممتنع المكفوف عن الأرض لثلاث يغمرها فيفترق أهلها، قاله ابن عباس وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل»^(١).

وقوله تعالى: ﴿إن هذاب ربك لواقع﴾ هذا هو القسم عليه أي لواقع بالكافرين، ﴿ما له من دافع﴾ أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك، قال الحافظ ابن أبي الدنيا: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة، فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿والطور﴾ حتى بلغ: ﴿إن هذاب ربك لواقع﴾ * ما له من دافع﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حمارة، واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعمده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه^(٢). وقوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء مور﴾ قال ابن عباس: تتحرك تحريكاً، وقال مجاهد: تدور دوراً، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة، قال: وأشد أبو عبيدة بيت الأعشى فقال:

كأنّ مشيتها من بيت جاريتها
نور السحابة لا زنت ولا عجل

﴿وتسير الجبال سير﴾ أي تذهب فتصير مياه منبأ وتنسف نسفاً، ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله، ﴿الذين هم في غوض يلعبون﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿يوم يُدحون﴾ أي يدفعون ويساقون ﴿إلى نار جهنم ذهاباً﴾، قال مجاهد والسدي: يدفعون فيها دفعاً ﴿هذه النار التي كتم بها تكذبون﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تريعاً وتوبيخاً، ﴿أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ اصلوها أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته، ﴿فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم﴾، أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها، ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلّا بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا كَانَهُمْ رَبُّهُمُ يَرْزُقُهُمْ رَبُّهُمُ عَنْ دُونِ الْعَمَلِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَانُوا يَسْئَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ ثَمَرِهِمْ حَيْثُ رَوَوْا ﴿٢٠﴾﴾.

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ وذلك بصد ما أولئك فيه من العذاب والنكال، ﴿فاكهيهم بما آتاهم ربهم﴾ أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ من مأكّل ومشروب، وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك، ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾، كقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ أي هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً، وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال ابن عباس: السرر في الحجال، وفي الحديث: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه»^(٣). وعن ثابت قال: «بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت

(١) رواه الإمام أحمد في المسند.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد العبدي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن الهيثم بن مالك الطائي مرفوعاً.

منه نظرة، فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن: قد أن لك أن تجعل لنا منك نصيباً^(١) ومعنى «مصنوفة» أي وجوه بعضهم إلى بعض كقرله: «على سرر متقابلين»، «وزوجناهم بحور عين» أي وجعلنا لهم قرينات صالحات، وزوجات حسناً من الحور العين، وقال مجاهد «وزوجناهم» أنكحناهم بحور عين، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته هنا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا طَلَّقْتَهُمُ الَّذِي فِيهِمْ مَالٌ كَافٍ لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْيِيمٌ ۚ وَلْيَرْوِغْ عَنْهُمْ طَلَاقُ لَهْمُ كَاتِمٍ لَوْلَا مَكْرُوهٌ ۚ وَأَقْبَلْ بِعَثَمٍ عَلَيَّ بِمَنِّي يَسْأَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ ذَٰلِكَ أَهْلًا مُّشْرِكِينَ ۚ قَسَمَ اللَّهُ لَعْنًا وَأَنَّ عَذَابَ الشُّرَىٰ ۖ إِنَّا كُنَّا مِنَ قَبْلُ لَشُرَىٰ ۖ إِنَّهُمْ هُمُ الرُّجَسَاءُ ۚ﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه، ولطفه وبخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان، يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوي بينه وبين ذلك، ولهذا قال: «الحقنا بهم ذريتهم وما اتناهم من عملهم من شيء»، قال ابن عباس: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما اتناهم من عملهم من شيء»^(٢). وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم»، قال: هم ذرية المؤمن يعوتون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بأبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً، وروى الحافظ الطبراني عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبيه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بالحاقهم به»، وقرأ ابن عباس «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان» الآية، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(٣). وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

وقوله تعالى: «كل امرئ بما كسب رهين» لما أخير عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخير عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنوب أحد، فقال تعالى: «كل امرئ بما كسب رهين» أي مرتين بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين»، وقوله: «وأمئتناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون» أي وألحقناهم بفواكه ولحم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى، وقوله: «يتنازهون فيها كأساً» أي يتعاطون فيها كأساً أي من الخمر، قاله الضحاك: «لا لغو فيها ولا تأثيم» أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ، أي هذيان، ولا إثم، أي فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا. قال ابن عباس: اللغو الباطل، والتأثيم الكذب، وقال مجاهد: لا يستيون ولا يؤثمون؟ وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان، فنزه الله خمر الآخرة عن فاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها صداع

(١) أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً عن ثابت البناني موقوفاً.

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً ورواه البزار عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هدياناً وفحشاً، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخيرها فقال: ﴿بيضاء لثة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ وقال: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾. وقال ههنا: ﴿يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأليم﴾. وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم علمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون * باكبواب وأباريق وكأس من معين﴾. وقوله تعالى: ﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي أقبلوا يتحدثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، كما يتحدث أهل الشراب على شرايبهم، ﴿قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ أي تصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أي نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إنه هو البر الرحيم﴾، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدثان، فيتكىء هذا ويتكىء هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا»^(١). وعن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية: ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم، فقالت: اللهم من علينا، وقتنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم^(٢).

﴿فَلَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِمُعْتَدٍ لِّذَلِكَ بَكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتَمِسُ بِهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ تَرَبُّوا فَإِن مَعَكُمْ رَبٌّ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ (٢٤) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ لِشَتْرِهِمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٢٥) ﴿أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُمْ تَبَلَّ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٦) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ يَشْبِهُهُ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٢٧).

يقول تعالى أمرأ رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فلذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾، أي لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبير السماء، ﴿ولا مجنون﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس. ثم قال تعالى منكرأ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ: ﴿أم يقولون شاعر نترتبس به رب السموات؟﴾ أي قوارع الدهر، والعمنون الموت، يقولون: ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه. قال الله تعالى: ﴿قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين﴾ أي انتظروا، فإنني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احتبسوه في وثاق وتربصوا به رب السموات، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (زمير) والنابغة) إنما هو كأحدهم، فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم: ﴿أم يقولون شاعر نترتبس به رب السموات؟﴾ ثم قال تعالى: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ أي عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة، التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أم هم قوم طاغون﴾ أي ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك، وقوله تعالى: ﴿أم يقولون تقوله﴾ أي اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال تعالى: ﴿بيل لا يؤمنون﴾ أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة. ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أي إن

(١) أخرجه الحافظ البزار عن أنس وقال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

القيامة شيئاً، ﴿وَلَا هُمْ يَبْصُرُونَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي تمذّبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينبئون، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلي عنهم مما كانوا عليه فيه، عادوا إلى أسوأ مما كانوا كما جاء في بعض الأحاديث: ﴿إِنَّ الْمَنَافِقَ إِذَا مَرَضَ وَعُوفِيَ، مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ كَمِثْلِ الْبَحِيرِ لَا يَدْرِي فِيمَا عَقَلُوهُ وَلَا فِيمَا أُرْسِلُوهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تباليهم فإنك يمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس، وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي إلى الصلاة: سبحانك اللهم وبحمديك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك^(١). وروى مسلم في «صحيحه» عن عمر أنه كان يقول: هذا ابتداء الصلاة، وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي من نومك من فراشك، واختاره ابن جرير، ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد، عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعاز من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي - أو قال ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوحاً ثم صلى قبلت صلاته»^(٢). وقال مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال من كل مجلس، وقال الثوري: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمديك، وهذا القول كقراءة المجالس، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمديك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَاقِلَةً لَكَ حَسْبَىٰ﴾ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، وقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ قد تقدم عن ابن عباس: أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة، لحديث: «لا تدعوها وإن طردتكم الخيل»، يعني ركعتي الفجر^(٤). وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر، وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

[آخر تفسير سورة الطور، والله الحمد والمئة]



- (١) قاله الضحاك وعبد الرحمن بن أسلم.
- (٢) أخرجه أحمد ورواه البخاري وأهل السنن.
- (٣) أخرجه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.
- (٤) رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً.